بلاد الحبشة وملوكها

اتينا في الجزء الماضي على خلاصة وجيزة من وصف بلاد الحبشة وتاريخها الى أواخر القرن الثامن عشر ووعدنا ان نتم الكلام عليها في هذا الجزء ايجازاً لذلك نقول

علمت انكلترا في أوائل القرن التاسع عشر أن فرنسا اتفقت مع روسيا على اقتسام السلطنة العثمانية وتكون مصر حينئذٍ من نصيب فرنسا فقلقت اشد القلق لأن وجود فرنسا في مصر يهدد املاكها في الهند فبعثت لورد ڤالفنتيا والمستر هرمي سُلت الى بلاد الحبشة سنة ١٨٠٥ لكي يعقدا محالفة مع النجاشي وينالا منهُ مرفأ على البحر الاحمر اذا تمَّ لفرنسا الاستيلاء على مصر. ثم توالى ذهاب المرسلين والتجار الى بلاد الحبشة من الانكليز والفرنسويين والالمان حتى عهد الملك تيودوروس الذي حاربهُ الانكليز لانقاذ بعض الاوربيين من قبضتهِ

منلك ملك شوى وامبراطور الحبشة

والملك تيودوروس ولد في ولاية امهرا [1] الغربية سنة ١٨١٨ وكان اسمهُ كاسا وكان ابوهُ رئيساً صغيراً وعمهُ والياً على احدى المقاطعات وتعلم في دير من اديار الرهبان وبدت عليهِ مخايل النجابة وعزة النفس في حداثتهِ ولما توفي عمه قام مقامهُ وكان شمال البلاد حينئذٍ مقسوماً بين ملكين الرأس علي في امهرا والرأس اوبيا في تغري . وقبض الرأس علي على اخي تيودوروس وسجنهُ فنشر تيودوروس راية العصيان وفتك بالجنود التي ارسلها الرأس علي لمحاربتهِ ثم اصطلح معهُ وتزوج بابنتهِ فكانت اكبر مشير له مدة حياتها. ثم حارب الرأس علياً والرأس اوبيا وتغلب عليهما فاستقل

(١) وتقسم بلاد الحبشة الى اربع ممالك وهي تغري في الشمال الشرقي وامهرا في الوسط وغوجام الى الجنوب منها وشوى الى الشرق من غوجام وولاية ولقا في الجنوب الغربي من غوجام وهرر في الجهة الشرقية وكفا وغالا وما الى الجنوب والجنوب الغربي من شوى

بالملك في أسهرا وحارب بعض الولايات الاخرى واستولى عليها ولما تمهد له الملك لقب نفسهُ نجوس نجستي اي ملك الملوك واتخذ اسم ثيودوروس الثالث وكان ذلك سنة ١٨٥٥. وقد وصفهُ عارفوهُ بأنهُ كان كريماً الى حد الاسراف عفيف النفس يعفو عند المقدرة لكنهُ كان فخوراً غضوباً شديد التعصُّب في دينه واسع المعرفة ذكي الفؤاد عالي الهمة صبوراً على الشدائد. وتوفيت زوجتهُ ابنة الراس علي فتزوج بابنة صاحب تغري وكانت تحسبهُ دعياً لانهُ اغتصب الملك من ابيها فتغصت عيشهُ ومن ثم مال الى السكر والخلاعة . وقُتل قنصل الانكليز حينئذٍ قتلهُ بعض العصاة فاقتفى اثرهم وانحن بنحو الفين منهم. وارسلت الحكومة الانكليزية الكبتن كيرون بدلاً من القنصل وارسلت معهُ هدية الى الملك ثيودوروس فقبلها شاكراً وارسل كتاباً مع كيرون الى ملكة الانكليز فوصل الكتاب الى وزارة الخارجية واهمل سهواً فاغتاظ من ذلك ولما عاد كيرون الى بلاد الحبشة قبض عليهُ واودعهُ السجن هو وحاشيتهُ وبلغ الخبر بلاد الانكليز فانتبهت الحكومة الانكليزية الى خطأها وارسلت هرمزد رسام الموصلي الاسرىولوجي المشهور وارسلت معهُ كتاباً الى الملك. ولما وصل الى مصوع وكان ذلك في يوليو سنة ١٨٦٤ ارسل يستأذن الملك في الذهاب اليهِ فلم يجبهُ ولكن كتب اليهِ ان الملك اطلق الكبتن كيرون وانهُ اذا كان لا يزال يود ان يقابل الملك فيمكنهُ ان يأتي بطريق القلابات فمضى اليهِ فاكرم مثواهُ واطلق الذين كانوا في السجن ثم قبض عليهم ثانية وسجنهم وضيق خناقهم. ولقينا واحداً منهم بعد اطلاقهم فقصَّ علينا قصصاً عن فظائع هذا الملك تقشعر منها الابدان ولا عجب ان كثر الناقمون عليهِ من الاحباش انفسهم ونشروا راية العصيان. وكان قد اتخذ مدينة مجدلا معقلاً لهُ وحصَّنها. وكتب حينئذٍ الى ملكة الانكليز يطلب منها بعض الآلات والصناع فارسلتها اليهِ مع بعض الجنود مشترطة ان تسلم لهُ حينما يطلق الذين في سجنهِ من الاوربيين لكنهُ لم يفعل. واخيراً صممت الحكومة الانكليزية على ارسال حملة الى بلاد الحبشة لاطلاق المسجونين بالقوة وكان ذلك في يوليو سنة ١٨٦٧ فسارت الحملة بقيادة السر روبرت نبير (اللورد نبير) وهي مؤلفة من ١٦٠٠٠ من الجنود و١٢٦٤٠ من رجال التشيلات . وكان نجم ثيودوروس قد قارب الافول وفارقهُ الجانب الاكبر من اتباعهِ وانحاز رؤساؤهم الى الحملة الانكليزية فخرق عاصمتهُ ديرا طابور وقصد مجدلا وابدى من المهارة الحربية والهندسية في ذهابهِ اليها ما يفوق الوصف ولما تبين ان القوة الانكليزية لا بدَّ من ان تتغلب عليهِ عدا فعها بعث وفداً الى الجيش الانكليزي طالباً الصلح فاجيب انه اذا اطلق كل المسجونين الاوربيين وخضع لملكة

الانكليز يعامل معاملة شريفة جداً فأطلق المسجونين وارسل كتاباً الى القائد الانكليزي وارسل معهُ الفاً من البقر و ٥٠٠ من الغنم . وقبول الهبة في عرفهم دليل على الصلح وانتهاء الحرب ويلفه ان الهدية قبلت فاطمأن باله ثم بلغه انها لم تقبل فيئس وحاول الهرب ثم عاد الى مجدلا وفي ذلك اليوم ١٣ ابريل أُخذت مجدلا عنوة ووجد الملك ثيودوروس قتيلاً ويقال انهُ انتحر بيدهِ

وكان عند ثيودوروس شاب اسمهُ منلك وهو ابن ملك شوى وكان ابوهُ قد جعلهُ وليًّا لعهدهِ فلما مات ثيودوروس قوي شأنهُ وحاول التغلب على سائر الرؤوس ولكنهُ لم يفلح لان رأس تفري كان قد حاز السلطة كلها في شمال بلاد الحبش ولقب نفسهُ نجوسي نجوستي وتسمّى باسم يوحنا وحاول الزحف على شوى ولكن منسنجر حاكم مصوع من قبل مصر صرفهُ عن ذلك لانهُ احتل ولاية بوغوص فهاجم الجنود المصرية وتكل بها فارسلت الحكومة المصرية راتب باشا والبرنس حسن باربعة عشر الفاً من المقاتلة سنة ١٨٧٨ فلم تفلح هذه الحملة اكثر مما افلحت التي قبلها . وأمر خينثز غوردن باشا وكان حاكم السودان العام ان يمضي ويصطلح مع الملك يوحنا ولكن الملك يوحنا كان قد عاد بجنودهِ جنوباً قاصداً تأديب منلك لانهُ غزا غندار حينما كان الملك يوحنا مشتبكاً بالحرب مع الجنود المصرية فجاءهُ منلك خاضعاً بعد مناوشات قليلة فعفا عنهُ ولكنهُ نزع استقلال شوى

توتي ملكة شوى وامبراطورة الحبشة

وكانت شركة ايطالية قد ابتاعت مرفأ على البحر الاحمر من صاحبهِ سنة ١٨٧٠ واراضي مجاورة لهُ سنة ١٨٧٩ و١٨٨٠ فابتاعتها منها الحكومة الايطالية سنة ١٨٨٢ وجعلتها مستعمرة وبعثت بالكونت انطونلي الى شوى ليعقد معاهدة مع منلك. وتوالت الرسالات من قبل ايطاليا فقلق منلك ويوحنا من جراء ذلك وانتهى الامر بحرب دارت الدائرة فيها على الجنود الايطالية

وثارت السودان وتملكها الدراويش فحاربهم الملك يوحنا وتغلب رئيس قواده راس الولا على عثمان دجنه سنة ١٨٨٧ وخرج الملك يوحنا بنفسه لقتالهم فقهرهم في معركة القلابات ولكن اصابتهُ رصاصة توفي بها وقرَّ قرار الاحباش على ترك الحرب والرجوع الى بلادهم . ولما وصل نعي الملك يوحنا الى بلادهِ نودي بمنلك ملكاً على بلاد الحبشة كلها . واتفق ان الكونت انطونلي كان عند منلك لما نودي بهِ ملكاً فعقد معهُ معاهدة باسم ايطاليا وهي معاهدة اوشيالي وبموجبها احتلَّ الايطاليون اسمرا وقد ذكرنا في مقتطف يونيو سنة ١٨٩٦ ما ترتب على ذلك قلنا : —

نشبت الحرب بين الملك يوحنا والدراويش فتغلب عليهم اولاً واستاق سبايام ثم اصابتهُ رصاصة قضت عليهِ فظن الايطاليون ان قد خلا لهم الجو وكانوا يثقون بالامير منلك امير شوى وهي بلاد واسعة جنوبي بلاد الحبشة لانهُ احسن إلى رؤسائهم فشدوا ازرهُ واعترفوا بهِ ملكاً على بلاد الحبشة واهدوا اليهِ عشرة آلاف بندقية وكثيراً من المبرة وعقدوا معهُ معاهدة مؤدّى البند السابع عشر منها حسب الترجمة الايطالية ان يكون تحت حماية ايطاليا ولا يخابر الدول الاجنبية الاَّ بواسطتها . ولما بلغ منلك مؤدّى هذا البند انكرهُ هو وزوجتهُ تُوتي وعدّاهُ اعتداء عليهما وحطة من شأنهما . وكان منلك قد بعث احد امرائهِ واسمهُ الراس مكونن الى ايطاليا سفيراً فاسترجمهُ ولامهُ على تساهلهِ للايطاليين وقال ان غاية ما قصدهُ من محالفتهِ لايطاليا ان يمكنهُ الاعتماد عليها في مخابرتهِ مع الدول ففسر الايطاليون كلمة « يمكنهُ » بكلمة « يلزمهُ » . واراد الراس مكونن ان يخفف الامر على منلك فقالت لهُ الملكة تُوتي ان الايطاليين قد رشوك حتى فعلت ما فعلت ثم قالت للجنرال انطونلي ان دولتك قد ارسلت الصورة التي تريدها من هذه المعاهدة الى الدول الاوربية ونحن فعلنا مثلها . وعبثاً تحاولون ان تكون تحت حمايتكم لاننا لا نسلم بذلك ولا نرغب فيهِ

اما الصورة التي ارسلها منلك فيقول فيها ان البند السابع عشر من معاهدة اشيالي حُذف وجلالة نجاشي الحبشة لا يمد باعطاء شيء من بلادهِ ولا يرتبط بمعاهدات ولا يقبل حماية احد ايًّا كان . ثم ابى ان يتوّج في مدينة ايوم لان الايطاليين كانوا فيها

واصرَّ منلك على رجوع الايطاليين الى مخومهم الاولى فلم يقبل كرسي بذلك . ورأى رؤساء الاحباش الذين كانوا موالين للايطاليين ان النصر قد عقد للنجاشي منلك فانحازوا اليهِ وامسى الجنرال براتيري يحيط بهِ الاعداء من كل ناحية فجمع مجلساً

حربيًّا قرّ قرارهُ على مناجزة الاحباش وتفرق قوادهُ واخطأ الجنرال البرتوني المكان الذي أُرسل اليهِ لوجود مكانين باسم واحد فابعد كثيراً واحاط بهِ الاحباش فتغلبوا عليهِ وتبعهُ الجنرال دابورميدا فاحاط بهِ الاحباش قبل ان يصل الجنرال اريموندي لنجدتهِ لوعورة المسالك فدارت الدائرة على الايطاليين وخسروا نحو عشرة آلاف بين قتيل وجريح

ولما بلغت اخبار هذه الواقعة ايطاليا مادت لها البلاد وخيف من الثورة وسقطت وزارة كرسبي وخلفتها وزارة روديني واضطر الايطاليون ان يعودوا الى تحومهم القديمة

ولما وصلت اخبار هذه المعركة الى اوربا علا شأن الحبشة في عينها فوفدت اليها الوفود من روسيا وفرنسا وبريطانيا فأحسن منلك ضيافتها وزاد شأن الاوربيين في بلاد الحبشة ولا سيما بعد ان انشأ الفرنسويون سكة الحديد من جيبوتي على نية الوصول بها الى ادس ابابا العاصمة . وتوفي راس مكونين ١٩٠٦ وكان ولياً لعهد منلك واقدر اعوانه ومات الراس لفاشا ايضاً تلك السنة وقامت مسألة ولاية العهد وخيف من وقوع الشقاق في البلاد فتنتهز دول اوربا الفرص لاقتسامها فتعاهدت انكلترة وفرنسا وايطاليا على بقاء الحالة السياسية في الحبشة على ما كانت عليهِ ولا تُعنى الاَّ بالدفاع عن مصالحها الخاصة اما منلك فعين ياسو ابن ابنتهِ ولياً لعهدهِ لكي يمنع كل اضطراب في البلاد بعد موتهِ ومرض سنة ١٩١٠ مرضاً منعهُ من ادارة امور الملك وبقي كذلك الى ان توفي في دسمبر سنة ١٩١٣

لما نشبت الحرب العالمية كان ياسو قد انقاد الى الالمان والاتراك فقام عليهِ رؤوس بلادهِ وخلعوهُ في عيد الصليب سنة ١٩١٦ ونادوا بالاميرة زبوديت ابنة منلك الثانية امبراطورة وبالامير تفري ولياً لعهدها وهو ابن الراس مكونين وقد ولد في ١٧ يوليو سنة ١٨٩١ واقترن بوزيرو منن سنة ١٩١٢ ولهُ منها ابنان وثلاث بنات وترى في الصفحة التالية صورتهُ وهو يركب احد ابنيهِ على جواد ويرى وجههُ في الصورة ابيض وهو في الحقيقة اسمر الى حد السواد

***

وقد بلغت قيمة تجارة الحبشة نحو مليون جنيه سنة ١٩٠٥ وزادت رويداً رويداً فبلغت نحو اربعة ملايين جنيه سنة ١٩٢٠ . وفي بلاد الحبشة جيش عامل يبلغ نحو مائة الف وهو موزع في الولايات المختلفة لحمايتها . والملشيا نحو مائة الف ايضاً ولكن تنظيمها

غير كاف . وقلما يكون الرجل من الاحباش عزلاً من السلاح وليس في البلاد غير سكة حديد واحدة لشركة فرنسوية من جبوتي وتوصلت الى اديس ابابا العاصمة سنة ١٩١٧ وطولها ٤٩٥ ميلاً تقطعها القطارات في ثلاثة ايام ولكنها لا تسير الاّ

الرأس تفري يركب ابنه على جواد

نهاراً وفيها ٢٠٠٠ ميل من التلغراف تربط اديس ابابا بهرر وسوامد وجبوتي ومصوع. وتلفون بين اديس ابابا وكثير من مدن الحبشة . وفي الحبشة بنك رأس ماله خمسمائة الف جنيه مركزهُ في اديس ابابا ولهُ فروع في كثير من مدن الحبشة ولهُ مجلس ادارة في القاهرة رئيسهُ مدير البنك الاهلي فيها

وقد انتظمت امبراطورية الحبشة في جمعية الامم في ٢٨ سبتمبر ١٩٢٣